

## التوحد في ظل جائحة كورونا

عائشة عبد اللطيف \*

جائحة عالمية تسبب بها فيروس كورونا أو ما تم تسميته كوفيد ١٩ ، أدت إلى توقف كل الأنشطة التي يمارسها البشر على الكرة الأرضية عدا الأنشطة المتعلقة بالفيروس من خدمات صحية وإعلامية والخدمات الضرورية جداً للحفاظ على الأمن.

وفي ظل هذا التوقف والخوف والترقب قامت كل دولة بالالتزام بتعليمات منظمة الصحة العالمية والمنظمات الدولية، التي هدفت إلى عمل كل الإجراءات الممكنة لاحتواء هذا الفيروس اللعين وتقليل حالات الإصابة والعدوى والحد من انتشاره.

فقامت كل دولة بعمل ما يلزم لتحقيق الهدف، وأعلنت كل دولة تعليمات وقوانين بحسب ما يتناسب مع دستورها ونظامها، واضطرت الحكومات إلى إطلاق قوانين وتعليمات صارمة جداً في معظم الأحيان لتحقيق أهم مبدأ وهو التباعد الجسدي والذي كان قد أطلق عليه في البداية التباعد الاجتماعي؛ وكذلك الإجراءات الاحترازية مثل لبس الكمامات والقفازات الواقية. وتبعاً لذلك اعتمدت بعض الدول مبدأ الحظر الشامل، فكان لا بد من التزام الجميع بيوتهم فيما يُسمى الحجر المنزلي، وتوقف الذهاب للعمل أو للمدرسة أو للتسوق أو لأي نشاط ترفيهي أو رياضي أو حتى للعلاج، إلا للحالات الطارئة جداً وعن طريق خدمات الدفاع المدني.

وانطبق ذلك على مراكز خدمات الأشخاص ذوي الإعاقة باختلاف أنواعها وخدماتها.

وبالطبع خطورة الموقف في بداية الأمر أدت إلى حدوث حالة من الهلع والترقب والتركيز على عدد الإصابات وعدد الوفيات وعدد من سُفي والبحث عن علاج أو لقاح للفيروس. كما توجهت الأنظار للدراسات والأبحاث التي توجهت لفهم سلوك الفيروس وطبيعة انتشار العدوى. وانتشرت

---

\* إخصائية علاج وظيفي ومديرة الجمعية الأردنية للتوحد - وناشطة في مجال حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة..

أيضاً الكثير من الدراسات التي بحثت في تأثير الجائحة وتبعاتها على الإنسان وسلوكه وحالته النفسية والصحية والاقتصادية.

في هذه الأثناء عاشت البشرية فترة عصيبة فجلس الجميع في بيوتهم والتزموا بالتعليمات، وكان أهم ما في تلك المرحلة أن كل شخص يفكر بحماية نفسه وأسرته وأحبته من العدوى بالفيروس. وكان الجلوس القسري في البيت أمراً عصبياً؛ خاصة أنه كان غير محدد الملامح: متى سينتهي هذا الحال وكيف سينتهي. واجتمعت الأسر بطريقة لم تعهدها حتى في أوقات الإجازات الأسبوعية أو الإجازات الفصلية المعتادة. ناهيك عن الخوف من المجهول وهل سيتم توافر الحاجات الأساسية مثل الطعام والشراب والدواء والماء والكهرباء وخدمات الشبكة العنكبوتية. كما واجهت الأسر تحديات كبيرة عندما تحولت جميع مراحل التعليم من مستوى ما قبل المدرسة إلى أعلى مستويات التعليم الجامعي إلى طريقة التعليم عن بعد. وواجهت صعوبات اقتصادية هائلة خاصة لمن يمارسون أعمالاً تجارية حرة كمصدر للعيش.

في ظل تلك الظروف الصعبة التي وللمرة الأولى في التاريخ تتأثر بها جميع دول العالم باختلاف ظروفها وإمكاناتها كان هناك الأسر التي واجهت الأصعب في ظل وجود طفل من الأطفال ذوي الإعاقة. بالطبع كانت الأوقات صعبة على الجميع ولكن تلك الأسر واجهت الأصعب على الإطلاق؛ خاصة أهالي الأطفال ذوي الإعاقات الذهنية وذوي اضطراب طيف التوحد. بطبيعة الحال وفي الأحوال العادية وبوجود مستوى عالٍ من الخدمات والحقوق كما في معظم الدول المتقدمة، يعاني أهالي الأطفال ذوي اضطراب التوحد الكثير من التحديات والضغوطات. فما بال وما حال تلك الأسر في بلدان لا يحصل فيها أطفالهم على ما يكفي الخدمات اللازمة وفي ظل ظروف استثنائية جداً؟!.

فاضطراب طيف التوحد يُعد من أكثر الاضطرابات صعوبة بسبب طبيعة الاضطراب وأعراضه، وتعدد وتنوع التحديات التي يواجهها من يعانون منه هم وأسرهم وكل من له صلة بهم. وكذلك بسبب حاجتهم للعديد من التدخلات العلاجية المختلفة، من علاج للنطق واللغة وعلاج وظيفي وعلاج سلوكي وتربية خاصة وعلاجات أخرى مساندة.

ومن أول وأهم التحديات في بداية الجائحة هو تغيير الروتين، فالأطفال ذوو اضطراب طيف التوحد يعانون صعوبةً لقبَل تغيير الروتين؛ حيث كان التغيير مفاجئاً حين توقف الذهاب للمدرسة أو للمركز و لم يكن ذلك التغيير مبرراً بالنسبة لهؤلاء الأطفال خاصة لأنه كان غير واضح المعالم

فلم يكن بمقدور الأهل التوضيح لأطفالهم متى وكيف ستعود الأمور إلى طبيعتها وكان التحدي بالطبع أكبر عند الأطفال الأصغر عمراً؛ وكذلك عند من يعانون إعاقاتٍ ذهنية مصاحبة لاضطراب طيف التوحد. كذلك وجود جميع أفراد الأسرة معاً داخل المنزل والتغييرات التي حدثت على سلوكهم بحسب ما تطلبته المرحلة، فكان على الأبوين أو أحدهما على الأقل ممارسة مسؤوليات عمله عن بعد؛ وكذلك ممارسة التعلُّم عن بعد لأشقائهم وشقيقاته واجتماع الأسرة بأوقات غير معتادة ومدة غير محدد وسلوكيات غير متوقعة، وأيضاً لا ننسى الضغط النفسي على جميع الأفراد بسبب الخوف من القادم المجهول؛ كل ذلك شكّل تركيبة جديدة مختلفة تماماً عن أي شيء عهده ذلك الطفل وكان ذلك جزءاً من تغيير الروتين الذي يعتبر بالنسبة إليهم من أصعب الأمور. أما التحدي الآخر فكان مسألة التعليم والعلاج عن بعد. وبالطبع واجه الجميع هذا التحدي بإيجابياته وسلبياته وعانى أطفال التوحد كغيرهم من الأطفال بسبب التحول الذي تطلبته المرحلة ولكن كان التحدي بالنسبة إليهم أكبر لأنه ومن المعروف أن أطفال التوحد يحتاجون للتدخل الفردي المقنن والمخصص لكل طفل حسب احتياجاته، ولا يلائمه تلقي المعلومات مرئية ومسموعة عن بُعد بل هو بحاجة لتواجد شخص معه بشكل مستمر يقوم بالتعديل على نبرة الصوت مثلاً أو طريقة إعطاء المعلومة بطرق حسية مختلفة كاللمس والشم والحركة مثلاً، وهذا بالطبع لم يتوافر من خلال التعليم عن بعد.

أما العلاج عن بعد (Teletherapy)؛ فقد أصبح بديلاً من البدائل التي فرضت نفسها وبشدة خلال فترة الحجر المنزلي وتطوع العديد من الإخصائيين للقاءات وندوات مفيدة تم بث معظمها للعامة وبشكل مجاني، ولا بد لنا أن نعترف هنا بأن تلك الظاهرة شكّلت علامة وأثراً إيجابياً للجائحة، وبالفعل كانت مصدراً ملهماً للمختصين والأهالي للاستفادة والاستزادة والتعلم، ولكن يبقى السؤال هل تحقق لكل طفل من أطفال التوحد ما يلزمه وما يلائمه من علاج؟؟ بالطبع لا.

فكما ذكرنا سابقاً أن لكل طفل احتياجات علاجية تخصه ويتم تفصيلها له من خلال خطته الفردية العلاجية. وكان واقع الحال أن بعض المراكز استدركت واستكملت جلسات الأطفال عن بُعد ولكن لم يكن هذا هو الحال بالنسبة إلى الجميع. ولا ننسى أيضاً بأن تأمين التواصل عن بُعد لاستكمال الجلسات يتطلب توافر عدة عناصر مثل الأجهزة التكنولوجية كالهواتف والألواح الإلكترونية والحواسيب، ويتطلب أيضاً توافر خدمة الشبكة العنكبوتية ولم يكن هذا متوافراً للكثير من الأسر خاصة ذوي الدخل المتدني والمحدود، وكان ذلك سبباً في عدم تلقي خدمة العلاج عن

بعد. وحقيقة كان الأمر غاية في التعقيد؛ حيث إن استخدام التكنولوجيا أصبح متطلباً أساسياً للمرحلة وفي الوقت نفسه تُعتبر المبالغة في استخدامها - وبالذات استخدام الشاشات - من الأمور غير المنصوح بها للأطفال التوحد؛ خاصة صغار السن منهم. فكان لا بد من إيجاد نقطة اتزان وحلٍ وسطٍ. وشكل هذا عبئاً آخر على الأهل؛ حيث كان عليهم أن يعرفوا ويقرروا بانفسهم الوصول إلى ذلك التوازن. وكان على الأهل أيضاً التعلم الذاتي لمعرفة كيفية استخدام التكنولوجيا، مثل تطبيقات التواصل المرئية والمسموعة عن بعد.

ومن ضمن التحديات أيضاً خلال فترة الحظر الشامل التي اعتمدها عدد من الدول، هو عدم السماح للأشخاص بالتنقل حتى على الأقدام وإن سُمح كان يتم لأوقات محددة، وتم منع التنقل من خلال المركبات الخاصة ووسائل النقل العامة، وكان هذا الأمر من المشكلات التي واجهها الأهل، لأن نسبة كبيرة من أطفال التوحد يحتاجون لحرية الحركة والتنقل على الأقدام أو داخل المركبات واللعب الخارجي كجزء لا يتجزأ من روتينهم اليومي واحتياجاتهم، وقد حرموا من كل ذلك لفترة ليست بقصيرة وتسبب ذلك بضغط كبير على الأطفال وعلى ذويهم. ولم تلتفت السلطات المختصة لاحتياجات أطفال التوحد إلا بعد جهد كبير ومطالبات عديدة من قبل الجمعيات المختصة والأهالي، إلى ضرورة توفير تصاريح خاصة للتنقل.

أطلت علينا تلك الجائحة بشكل مفاجئ جعلنا نعيش أوقاتاً عصيبة أثرت سلباً على معظم البشر، ولكن بالفعل كان النصيب الأكبر لمن هم يعانون من تحديات وإعاقاتٍ مثل ما هو الحال في اضطراب طيف التوحد.

وقد علمتنا تلك الجائحة أنه من الضروري الوضع بعين الاعتبار الأشخاص ذوي الإعاقة واحتياجاتهم وإدراك أهمية منحهم ومنح أهلهم ما يستحقون من استثناءات في ظل الظروف الطارئة.

كما علمتنا الجائحة أيضاً أنه علينا التوجه لتدريب الأهل وتقويتهم وتمكينهم ليصبحوا أكثر قدرة على تقديم احتياجات أطفالهم التعليمية والعلاجية وأنه علينا أن نفكر خارج الصندوق لنجد حلولاً بديلة للجلسات العلاجية المباشرة، عن طريق العلاج عن بعد وتدريب المعالجين والأهل على الاستفادة بأكبر قدر ممكن من هذا الأسلوب العلاجي المستحدث والذي فرضته علينا الجائحة. ينهنيء لي أحياناً أن جائحة كورونا غمامة سوداء غطت سماء حياتنا، ولكن في الوقت نفسه لم يخلو الأمر من وجود فتحات من نور تخللت تلك الغمامة جعلتنا نرى الأمور من منظور مختلف،

واعطتنا الفرصة لنتوقف ونتساءل هل حقاً ما نقدمه لأطفالنا ذوي اضطراب طيف التوحد هو ما يتوجب علينا تقديمه، أم أننا لا زلنا بحاجة لمزيد من الاجتهاد والعمل والمثابرة لتحقيق ما هو أفضل لهم ولذويهم.

وأقول لنجعل من جائحة كورونا فرصة للتغيير لما هو أفضل، ولنحوّل تلك المحنة إلى منحة والاستفادة من كل الدروس التي علمتنا إياها.

أملة من حكوماتنا العربية جميعاً الانتباه إلى منح الأطفال والأشخاص ذوي اضطراب طيف التوحد حقوقهم، وتخفيف العبء النفسي والمعنوي والمادي قدر الإمكان عن كاهل أهلهم.